ذكر فضائل مكة المكرمة

obeikandl.com

obeikandl.com

ذكر فضائل مكة المكرمة

هذا وقد ساق ابن قيمٍّ الجوزية في كتـابه زاد المعاد ، فضائل مكة المكرمة زاد المعاد في هدي خير الـعباد مقالاً طويلاً في فضائل مكـة المكرمة فقال في ص ١٠ الجزء الأول ما نصه ومن الاختيار اختياره سبحانه من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها ، وهي البلد الحرام ، فإنه سبحانه اختاره لنبيه وجعله مناسك لعباده ، وأوجب عليـهم الإتيان إليه من القرب والبعـد من كل فج عميق ، فلا يدخلونه إلا متواضـعين خاشعين متذللين كاشفي رؤوسـهم متجردين عن اللباس إلا ملابس الإحـرام ، وجعله حرمًا آمنًا لا يسفك فـيه دم ولا تعضد فيه شـجرة ولا ينفر لـه صيد ولا يختلى خلاه ، ولا تلتقط لقطته للتمليك ، بل للتعريف ليس إلا .

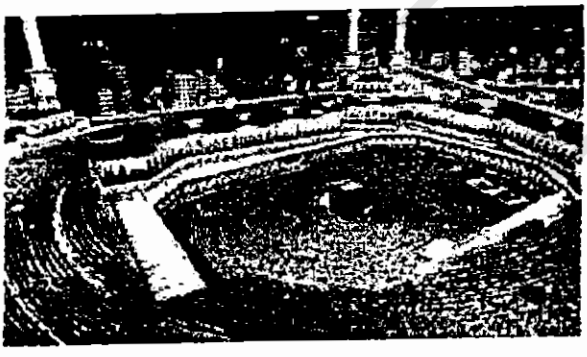

وجعل قـصده مكفـرًا لما سلـف من الذنوب مـا حيـا للأوزار حاطـا للخطايا كـما في الصـحيحين عن أبي هـريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : **«من أتي هذا البيت ، فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، ولم يرض لقـاصده من الثـواب دون الجنة »** ففي السنة عن حديث عـبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفـيان الفقـر والذنوب ، كمـا ينفي الكـير خبث الحـديد والذهب والفـضة ،**

وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » فلو لم يكن للبلد الأمين خير بلاده فأمر بقصدها «الحج والعمرة»، وجعل ذلك كله من آكد فروض الإسلام ، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ وليس على وجه الأرض بقعة ، يجب على كل الناس السعي إليها والطواف بها إلا البيت الذي فيها ليس غيرها ، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وأن تحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود ، والرُكْن اليماني،وثبت عن عبد الله بن الزبير عن النبي ﷺ أنه قال: « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة » رواه ابن حبان في صحيحه .

وهذا صريح في أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق ولذلك كان شد الرحال إليه فرضً ولغيره فيما يستحب ولا مستحبًا وفي المسند والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عدي ، وابن الحمراء أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت».

قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

ومن خواصها أيضًا : أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض ، وأن المسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض ، فقد سأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض فقال : «المسجد الحرام» .

ومن خصائصها : أنها أم القرى والقرى كلها فرع لها ، وأنه لا يجوز دخولها لأصحاب الحوائج المنتظرة إلا بالإحرام ، وأن البيت الحرام يعاقب فيه على الهم بالسيئة وإن لم يفعلها ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

قال ابن قيم الجوزية : وقد ظهر سر هذا التفصيل والاختصاص في انجذاب القلوب والأفئدة ومحبتها لهذا البلد الأمين فجذبه للقلوب أعظم من جذب الحديد بالمغناطيس فهو الأولى بقول القائل :

محاسنه هيولى كل حسن ومغناطيس أفئدة الرجال

ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابة للناس بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقًا وفي هذا يقول الشاعر :

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقًا

فكم من قتيل وسليب وجريح ، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح ورضى المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان مقدمًا بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطف والمشاق وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه لو ظهر سلطان المحبة في قلبه أطيب من المتخلية ولذاتهم .

وليس محبًا من يعد شقاءه عذابا إذا ما كان يرضى حبيبه

وهذا كله سر إضافته إليه سبحانه وتعالى : ﴿ وطهر بيتي ﴾ فاقتضت هذه الإفاضة الخاصة من هذا الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته ، انتهى كلام ابن القيم .

وترى كتاب قصص الأنبياء للإمام ابن كثير يسوق أحاديث صحيحة في تأسيس البيت الحرام ، قال البخاري : قال عبد الله بن محمد وهو أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أول من اتخذ المنطق من النساء أم إسماعيل تعفى أثرها على سارة ثم حاء بها إبراهيم وبابنيهما إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء .

ثم قفَّى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال: نعم ، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت .

ثم قال ابن عباس رضي الله عنه : ثم سار إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ثم رجعت .

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٣٧] ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت ، وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال : يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا

فلم تـر أحداً فـعلت ذلك سـبع مرات قـال ابن عبـاس : قال الـنبي ﷺ : «**فلذلك سعى الـناس بينهما فلما أشـرفت على المروة سمعت صـوتًا فقالت : صه ثم تسمعت، فسمعت أيضًا فقالت : قد أسمعت أن كان عند غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعـقبه ، أو قال بجناحه ، حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضـه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من المـاء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف**» .

قال ابن عـباس : قال الـنبي ﷺ : « **يرحم الله أم إسـماعيل لـو تركت زمـزم** » أو قـال : « **لو لم تغرف من الماء لكانت زمـزم عينًا معينًا** » قـال : فشربت وأرضعت ولدها فـقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فـإن ها هنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لن يضيع أهله .

أخي القارئ الكريم :

هذا الحديث يطول ويحـلو للكاتب والقارئ ولكن الخلاصة هنـا السياحة في مكة أم القرى هي رأس السياحة الدينية في العالم كله والطواف بالكعبة لا ينقطع لـيلاً ولا نهارًا ، والذين يـذهبون لزيارة الكعـبة البيت الحـرام يذهبون بشوق شديـد ومحبة فيـاضة ، وكذلك شأن السيـاحة الدينية فـهي تتم بدافع ذاتي ولا تخضع أبدًا لعوامل الأمن والخوف والأحداث التي تعوق باقي أنواع السياحة في العالم ، والحوادث التي يتـعرض لها السياح في كل مكان ولدينا في مصر كثير من المعالم السياحـية الدينية ، وخاصة ما هو مذكور في القرآن الكريم في سـيناء شمـالاً وجنوبًا ، وأن أهل مـكة قد خصـهم الله سبـحانه بالرزق الوفير والخير الكثير والأمن والأمـان نظرًا لوجود البيت الحرام وفريضة الحج وسنة العمرة وهو خير دائم لا ينقطع .

●● ●● ●●